

صور سياحة

أيام في سويسرا
بقلم سائح متجول

غادرنا باريس في منتصف الليل قاصدين إلى سويسرا ؛ وإذا كنا قد هبطنا باريس فرحين متعطشين بزيارتها والتمتع برؤية معالمها ومعايها التاريخية ، فقد غادرناها أيضاً دون أسف ، بعد أن تركت في نفوسنا صوراً أخرى غير تلك الصور الخلابية التي ألفناها في كتب الأدب وفي المقالات والفصول الزانة ؛ وسار بنا القطار ينهب الأرض ليلاً متجهاً نحو الاكازس ، فلما أسفر الصبح كنا نخترق أراضي الاكازس مارين بتلك المواقع الشهيرة في تاريخ الحرب والسياسة مثل بلفور ومياهوز وغيرهما ؛ وقد لاحظنا منذ بدأنا نبحر الاكازس أننا نكاد نخترق أرضاً غير فرنسية ، فالناس يتحدثون بالألمانية المحرفة (أو الالزاسية) في كل مكان حتى موظفي القطار يخاطبون الركاب بالألمانية ، وكل ما هنالك من طبيعة ومناظر وأشخاص يكاد ينطق بأن الاكازس ليست فرنسية في طابعها وفي روحها ، وإن كانت السياسة ومصائر الحرب قضت بأن ترد الاكازس واللورين إلى فرنسا عقب انتصارها في الحرب الكبرى

ووصلنا إلى الحدود السويسرية في الصباح الباكر ، ودخلنا محطة بازل (أوبال) حيث أجريت الاجراءات الجركية في أدب وظرف ؛ وشعرنا في اللحظات القليلة التي صرت حتى وصولنا إلى الفندق أننا نبحر إلى محيط آخر أرقى خلالاً ومدنية من محيط فرنسا والشعوب اللاتينية كلها ؛ وإنك لتأنس نفس الشمور عند ما تخترق الحدود الإيطالية مثلاً إلى النمسا ، فتشعر في الحال أنك غادرت في إيطاليا محيطاً أقل مدنية وخلالاً

وسويسرا موطن السياحة بحق ، والسياحة أهم مواردها القومية ، ولهذا تعنى ولايات الاتحاد السويسري ومدنه المختلفة بتنظيم شؤون السياحة أحسن تنظيم وتذيع عن سويسرا ومسابيها ومشائها ومناظرها وزهرها نشرات بديعة جذابة ، وتعنى بتنظيم

بالآداب الأجنبية أو النقد الأجنبي كثيراً ، فهم واضعو علوم البلاغة في لغتهم ، وهم نهجوا بكتب الأدب والنقد نهجهم الخاص بهم ، وجدتم في هذا السبيل جسيم جليل ؛ أما الانجليز فجعلوا النقد الأدبي الأجنبي دائماً نصب أعينهم ، قديماً كان أو حديثاً ، فما كتبه أرسطو ومما نظمه هوراس في النقد نشأ النقد الأدبي في الإنجليزية ، وغدّي بعد ذلك بكتابات دانتي وبوالو ولسنج وجيته وسنت ويف وتين ؛ فالناقد الانجليزي يستعرض آراء هؤلاء أثناء استعراض آراء مواطنيه بلا تفریق ولا ريب أن اشتغال النقد الانجليزي على آراء أمثال أولئك ربح للأدب لا يقدر : فاطلايح الأدياء والنقاد على خير ما تنتججه القرائح في العالم أجمع يوسع آفاق تفكيرهم ويفسح حدود أدبهم ، ويربأ بالأدب أن تنقله القيود وتفسده التقاليد ، ومن ثم قال ماثيو أرنولد بضرورة إتقان الناقد في أدب ما أدباً أجنبياً واحداً على الأقل ، ترداداً قائده له كلما ازداد التباين بينه وبين أدب الناقد الأصلي

فأكثر النقاد الانجليز كانوا كالتقدم من أملايم النظم والنثر ، وكانوا مطلعين على الآداب الأجنبية ، وما كتب فيها في النقد ، ثم هم كانوا - ولا سيما متأخروهم - مهتمين بالفنون الأخرى بجانب الأدب ، واقفين على ما كتب في تقدها ، بل كان منهم من جمع بين تقدها والنقد الأدبي : فديردن واضع أساس النثر الانجليزي الحديث كتب رسالته في « الموازنة بين الشعر والتصوير » وكذلك جمع لام وثكري وركسن بين نقد الادب ونقد التصوير أو النحت ؛ ولا ريب أن تفقه الناقد في تلك الفنون أكبر معوان له على حسن النظر في الأدب وصدق النقد له ، لتشابه الفنون في وسائلها وظاياتها

فالناقد الانجليزي كان أكثر أهلية للنقد وقدرة على النجاح فيه : لأنه كان يمارس الأدب بنفسه نظماً ونثراً فهو أدري بدخائله ولأنه مطلع على الادب الأجنبي والنقد الاجنبي ، فهو أدري بمحاسن أدبه ومثالبه ، ولأنه متبصر في الفنون فهو أعلم بمناس فنه انخاص - الأدب - ومن ثم حفل الأدب الإيمجيزي بالدراسات القوية لمصور الادب وخطوله وفنونه ، وجاء تاريخه أوضح منهاجاً وأبين معالم من تاريخ الأدب العربي

فخرى أبو السعود

الساعة العاشرة مساءً والساعة السادسة صباحاً، ولا يعتمدى عمال المحطة باب الخروج حيث تقف عربات التاكسي، وعندئذ يتسلك عمال الفندق أو تركيب التاكسي، وكذلك لا يسمع لجمال الفندق أن يشمى باب المحطة؛ ومن ذكريات هذا الغلاء الشنيع أيضاً أنني دفعت فرنكين ونصف (١٧ قرشاً) أجره لقص الشعر، وهكذا قضينا بضعة أيام نكتوى في بازل وفي تسيرخ بنار هذا الغلاء الشنيع الذي لا يكاد يطف من وقعه شيء.

ولقد اشتهرت سويسرا بأنها بلد السياحة، وقد حبتها الطبيعة فعلاً وحببت مجتمعاتها بكل ما يجذب السائح؛ ولكن الظاهر أن سويسرا تعول قبل كل شيء على السياحة الغالية أو السياحة المترفة؛ وإسكانت السياحة مورداً قومياً أساسياً في سويسرا، فالظاهر أنها تعمل كل ما وسعت لاستغلاله في جميع نواحيه. وحالة الرخاء المستمر التي تتمتع بها سويسرا تساعد في ارتفاع مميزات النيش، وتحمل الشعب السويسري على طلب المزيد من تمار هذا الاستغلال؛ ولكن الظاهر أن سويسرا شعرت أخيراً كما شعرت فرنسا أن هذا المورد قد أصابه النقص وأن دولاً أخرى مثل ألمانيا وإيطاليا والجر قد أخذت تجذب أنظار السياح وتستغل مورد السياحة بما قدمته من تسهيلات في النقد والسكك الحديدية، وأن الخروج عن معيار الذهب في مسألة النقد وسيلة لاستدراك هذا النقص. وقد خرجت سويسرا فعلاً كما خرجت فرنسا عن معيار الذهب، وخفضت قيمة الفرنك السويسري نحو ٣٠٪ بحيث أصبح الجنيه الانكليزي يعادل ٢١ فرنكاً؛ وربما كان في ذلك تخفيف على السائح وتخفيض معقول في مستوى المعيشة، ولكن ذلك يتوقف دائماً على المحافظة على مستوى الأثمان القائم، فإذا ارتفعت الأثمان تبعاً لنزول النقد، فإن السائح لا يستفيد شيئاً ويبقى الغلاء المرهق حيث هو.

ولنعد الآن إلى بازل؛ فهي مدينة أنيقة سكانها نحو مائة وخمسين ألفاً، وتتمتع بموقع بديع على منعطف نهر الراين، والراين يخترق بازل، ولكنه يبدو متواضعاً هادئاً كأنه نهر صغير؛ وفي ظاهر بازل من الغرب تجتمع حدود أم ثلاثة ترى على قيد البصر

كل ما يتعلق براحة السياح ورفاهتهم مثل الفنادق والمطاعم وطرق الواصالات والألماب والنزه ولا سيما النزه والألماب الشتوية الجبلية والثاجية التي اشتهرت بها سويسرا؛ والفنادق السويسرية حسناً وأبنائها في بازل وتسيرخ (زيورخ) فنادق من الطراز الأول من حيث النظام والنظافة وما يتجلى فيها من الأناقة وحسن التنسيق، وكذلك المطاعم والمقاهي يبدو عليها طابع الأناقة والبهجة والذوق الحسن؛ ونستطيع أن نقول إن مدينة صغيرة مثل بازل أو تسيرخ تتمتع بمجموعة من الفنادق والمطاعم الأنيقة لا توجد في مدينة عظيمة كباريس، التي مازالت فنادقها متأخرة من حيث الفخامة والتنسيق والرفاهة نحو نصف قرن عن فنادق العواصم الأخرى.

غير أنه لا بد أن نقول هنا إن السائح يدفع لهذه الأناقة والرفاهة في سويسرا ثمناً غالياً، ذلك أن موجة من الغلاء المرهق تم سويسرا؛ وقد كانت سويسرا وقت زيارتنا لها في أغسطس من أشد الدول تمسكاً بقاعدة الذهب، وقد كان الجنيه الانكليزي يساوي ١٥ فرنكاً سويسرياً فقط؛ ولم يمض علينا في بازل يوم واحد حتى أدركنا فداحة هذا الغلاء الذي ينقص على السائح كل شيء خصوصاً إذا كان يحمل نقداً خارجاً عن عيار الذهب كالجنيه الانكليزي أو المصري؛ فالسائح المتوسط لا يستطيع أن يعيش في سويسرا عيشة لائقة مريحة بأقل من ٢٥ إلى ٣٠ فرنكاً في اليوم (١٦٠ إلى ٢٠٠ قرشاً)، واليك بعض الأمثلة العملية؛ فأجرة الترفة في فندق متوسط تساوي من ٦ إلى ٨ فرنكات يومياً (والفرنك ستة قروش ونصف) وأجرة الحمام فرنك ونصف ووجبة الطعام في مطعم لائق تساوي ٣ - ٤ فرنكات، والقهوة أو قهح البيرة يساوي فرنكاً، وهكذا؛ وأذكر أنني دفعت حين وصولي إلى محطة بازل نحو ثلاثة فرنكات (عشرين قرشاً) أجره لجمال حقيقتي من المحطة إلى الفندق الذي لا يبعد عنها أكثر من مائة متر ودفعت مثلاً حين سفري من بازل، ووقع مثل ذلك مرة أخرى حين وصولي إلى تسيرخ وسفري منها؛ وهذا من أمتع ما لقيت من صور الغلاء، وتقضى تعريفه الحالمين الرسمية بأن يدفع المسافر نصف فرنك (خمسين سنتاً) عن كل قطعة، وأن يضاعف هذا الأجر ما بين

أحد أفرع الراين عند مصبه في بحيرة تسيرينج ، ويخترقها نهر ليتام وقد أنشئت عليه قناطر مدرجة لحبس المياه ودفنها بقوة لتوليد الكهرباء ؛ وتقع بحيرة تسيرينج في نهاية المدينة شرقا ، وهي من أبداع المناظر البحرية التي يمكن تصورها ، وتكثر فيها القوارب البخارية المعدة للزهر القصيرة ، وكذلك السفن المعدة للحفلات الراقصة ؛ ويمتد أكبر شوارع تسيرينج ، وهو شارع المحطة Bahnhof Str ، ما بين المحطة والبحيرة ، وهو شارع طويل نغم وبه معظم البنوك والمحلات التجارية وإدارات الصحف الكبرى وقد رأينا منها إدارة « جريدة تسيرينج الجديدة » Neue Züricher Zeitung ؛ وفي تسيرينج أيضا جامعة ، ومتحف تاريخي كبير ، والمدينة على وجه العموم كثيرة النظافة والأناقة تفيض حركة وحياة ، غير أننا عايننا بها نفس الفناء المرهق الذي أشرنا إليه . وقد رأينا في الأيام القليلة التي قضينا في هذه الربوع السويسرية الجميلة من خواص المجتمع السويسري كل ما يحمل على التقدير والاعجاب ، فسويسرا الألمانية بلا ريب من أرق بقع أوروبا وأعظمها حضارة ، والشعب السويسري (الألماني) من أذكي الشعوب الأوروبية ، وأرفعها ثقافة وخلقا ؛ فحيثما سرت رأيت أرق مظاهر النظافة والصحة والمافية ، وألذبت الشباب النضر يتدفق حياة ومهجة ؛ وتمتاز الفتاة السويسرية برشاقها ومظهرها الرياضي ولونها النضر ، وجمالها الطبيعي الذي لا تكلف فيه ولا صناعة ؛ وفي جميع طبقات المجتمع تسود الرقة والأدب الجم وحسن المعاملة والأمانة ؛ ولباني النضر كل معاونة وتقدير واحترام ؛ واللغة الألمانية هي اللغة السائدة في هذه المنطقة من سويسرا ، وهم يتحدثونها بظرف ورشاقة ، ولكنك تستطيع التفاهم أيضا بالإنكليزية والفرنسية والابطالية في معظم الأحوال ولقد أنستنا هذه الأيام القليلة المتمعة ، وما لقيناها خلالها من شمائل هذا الشعب الرفيع الدمث ، ومظاهر حياته وذكاؤه ونشاطه التي تحمل على الإعجاب ، ما لقيناها من متاعب الفناء المرهق الذي يرجع بالأخص الى تفاوت سعر النقد ، وأنستنا بالأخص كثيرا مما لقينا في فرنسا وباريس من مظاهر التكلف والحشونة والياء والجشع ، وكل ما هنالك من مظاهر حضارة تؤذن بالانحلال (•••)

سويسرا وألمانيا وفرنسا ؛ وفي بازل أقدم الحمامات المويسرية يرجع إنشاؤها إلى نحو خمسمائة عام ، وبها مكتبة كبيرة تضم نحو نصف مليون مجلد ، وعدة كنائس قديمة أشهرها وأنعمها كنيسة سانت مارتن . وشوارع بازل وطرقها حسنة التخطيط ، ومبانيها منسقة متوسطة الارتفاع ؛ وأهم ميادينها ميدان المحطة Bahnhofs Platz وعليه يشرف معظم الفنادق الكبيرة ، ومنه يتفرع بمخاض المحطة أهم شوارعها ، وهو « الشارع الحر » Freie Strasse وهو المتد في وسطها حتى النهر ؛ ولبازل ضوايح بديمة تمتد إليها خط ترام خاص من المدينة ، يمر خلال مجموعة ساحرة من الوديان النضرة والقرى النظيفة الساحرة ؛ ولقد ذهبنا ذات صباح نجوس خلال هذه المناظر المتمعة ، وقصدنا إلى قرية دورناخ Dornach حيث يقوم معهد « الجيتانوم » Goetheanum فوق أكمة عالية تصل إليها من طرق صاعدة تقوم على ضفافها المنازل والحدائق الأنيقة ؛ ولما وصلنا إلى « الجيتانوم » بمد رياضة بمجهدة ألقينا بناء ضخما أبلق ، قد بنى على الطراز الاغريقي والقوطي ؛ فجزنا إلى داخل المعهد وقابلنا سكرتيره ووقفنا منه على تاريخ المعهد ونظمه وغاياته ؛ وخلاصة ما علمناه أن « الجيتانوم » أو (معهد جيته) معهد دولي للعلوم العقلية ، سى إلى تأسيسه الدكتور رودلف شتينر العلامة المسمى في سنة ١٩٢٣ ، وبنى على طراز الملاعب اليونانية القديمة ؛ وأريد به أن يكون معهدا دوليا حرا لترقية العلوم العقلية يجرى على مبدأ الثقافة الحرة المطلقة من كل قيد ؛ وأنشئت فيه أقسام للتربية والفنون الموسيقية والطب والعلوم والفلسفة . وفي الصيف تلقى في المعهد دروس ومحاضرات دورية من أشهر الأساتذة في مختلف العلوم والفنون فيقبل على سماعها جمهور كبير من الزائرين ، ومعظمهم من الانكليز والاصريكيين والألمان ، وقد شهدنا كثيرين منهم حول المعهد وداعخله ؛ وهنالك على مقربة من المعهد عدة فنادق منزلية تأوى زوار دورناخ ، وإلى جانبه فوق الأكمة المالية مقهى أتيق يقصده الرواد والتزهون

•••

وبعد بازل قصدنا إلى تسيرينج (زيورينج) ، وهي أكبر المدن السويسرية وسكانها نحو ثلثة ألف . وتقع تسيرينج على نهر ليتات